



الدكتور ماهر الجعبري

كان مشهدا لافتا عندما وقفت تلك المرأة اللبنانية على فضائية المنار إبان العدوان الإسرائيلي؛ على لبنان صيف 2006م، وهي تخاطب السيد حسن نصر الله وتطلب قطعة من عباءته التي تعرق فيها خلال تلك الحرب الشرسة، لأن السيد نصر الله كان قد جسد في تلك الحرب رمزية للناس التي ترفض الكيان المغتصب، وترفض كل من يقف وراءه من قوى الغرب ومن الأنظمة العربية، فعبر السيد نصر الله عن مشاعر الأمة في إطلالته.

وكانت أغنية "متى تغضب؟" التي بثتها فضائية المقاومة، تطرب آذان الغاضبين من أبناء الأمة والرافضين لمسيرة المتخاذل والمانبسط العربي أمام التجبر الأمريكي وأمام تمرد ربيته إسرائيل؛ وكانت المشاعر التي يحركها ذلك الإعلام تصب في خانة شحن الناس ضد العدوان وضد المتخاذل.

واليوم، يلاحظ المتابع أن إعلام المقاومة؛ الذي لا يُغفل أخبار كافة الثورات، بل ويركّز على ما يحصل من اضطهاد في البحرين، يقف أخرس أمام جرائم بشار وهصابته، أو شاهد زور على تلك الوحشية. فهل يتحول "خطاب المقاومة" إلى سياج لحماية الأنظمة المتآمرة على الأمة؟

انقلبت الصورة الإعلامية للمقاومة، وتمخضت عن إعلام يسعى لتبويض وجه الإجرام الرسمي السوري، ونقل تبريراته المهشمة التي لا يمكن أن تمرر أمام مشاهد الدماء الزكية التي تسيل على أرض الشام المطاهرة، ذات الفضائل العظيمة.

نقول انقلبت الصورة، حتى لا نقول "انكشفت"; لأن المقاومة بإخلاص من يحمل السلاح ضد اليهود، من رجالات يحملون أرواحهم على أكفهم تبقى قائمة، مهما عمل "الموجّهون"؛ على تنفيذ برامج التضليل على أولئك الجنود الذي تربوا على عقيدة حرب العدو المغتصب.

ما كان الموقف ليستدعي التعليق عليه لولا بشاعته، لأن من يوجّه السلاح ضد العدو يمارس أعمالاً بطولية تشربت الأمة مدحها وحب من يمارسها. لكن ما يبرز اليوم من مشاهد متناقضة تماماً مع تلك الصورة؛ الثورة؛ في إعلام؛ المقاومة؛ يوجب توجيه صرخة تنبيه، لعلها توقظ من يجلس في غرف تحرير الأخبار في إعلام المقاومة، قبل أن يصحو متأخراً بعد تهوي نظام بشار إلى الأبد.

لا شك أنه موقف فاضح يكشف عن تهاافت منطق التحالف مع ما تسمى دول الممانعة، لأنها ليست سوى نسخة أخرى من دول الانبطاح العربي، وحالها كحال بائعة الهوى المستترة؛ فلا فرق بين الدول العربية التي تتعري على الفضائيات أمام عنهجية الكيان الغاصب وهي تخطب وده، وبين تلك التي تقول له أكرهك أمام المشاشات، بينما تبعث له العراب التركي ليخطب وده كلما سنحت الفرصة.

بل لقد كشفت الثورة السورية بشاعة وجه الدولة؛ الممانعة؛ وهي تحرك دباباتها في الطريق المؤدي للجولان، ولكن من أجل حصار درعا وقتل أهلها، لا من أجل فتح جبهة الجولان التي ظلت ساكنة سكون القبور طيلة عقود؛ الممانعة؛ الطويلة، فأى بشاعة لمثل هذه الدولة التي انتسبت للممانعة زورا وبهتاناً؛ وأي صمت أكثر مقمناً من صمت من يدعي المقاومة ولما يستفز ذلك الهجوم الوحشي على أهله في سوريا!

وقد كشفت تصريحات العدو الغاصب عن قلق من انهيار دولة؛ الممانعة؛ فكيف تلتقي مصالح دولة الاحتلال مع مصالح من يقاوم ذلك الاحتلال على حماية النظام السوري؟ هي عقدة ليس لها حل إلا من خلال المتستر خلف المشعارات والتضليل الإعلامي الذي هو العنوان الأبرز في كافة التغطيات الإعلامية لثورات الأمة.

ولم يقف الحد عند تخاذل إعلام المقاومة عن نصرة ثورة الأمة في سوريا، بل سبقته بعض فصائل المقاومة عندما اعتبرت ما يجري في الشام شأننا داخلياً (مع أن فلسطين جزءاً من الشام!)، فوفرت الغطاء لمواقع الإعلام التي تسبّح بحمد تلك الفصائل وتتغنى بتاريخها النضالي، لكي تحذف كل خبر يصب في تجييش الناس ضد نظام بشار وزمرته، بل وكان قادة من المقاومة قد كالموا المدح لنظام بشار على أنه أمين على قضية فلسطين، فكيف يؤتمن على القضية من لا يؤتمن على شعبه؟

ليس ثمة من يدعي أن خلع الاحتلال من؛ كامل؛ تراب فلسطين يمكن أن يتم بدون جيوش الأمة تجتاح كيان الاحتلال فلا تبقى منه ولما تذر؟ ولذلك فإن الذي لا يهمه شأن تحرير تلك الجيوش من قبضة الحكام، لا يمكن أن يدعي أنه يريد تحرير كامل فلسطين.

كيف لفضائية؛ المقاومة الإسلامية الفلسطينية؛ أن لا تتابع باهتمام ما يجري في سوريا وأن لا تقف مع الثورة السورية؟ وذلك هو المحدث الأهم الذي يصب في خدمة قضية فلسطين، بل هو الطريق الأقصر نحو تحرير فلسطين، كل فلسطين، عندما يسقط النظام الذي وقف حارساً طيلة تلك العقود لذلك الكيان الغاصب، وظل يحتفظ بحق الرد وهو يتلقى الضربات والإهانات.

وكيف للمنظرين للمقاومة والمنافحين عن بطولاتها؛ التاريخية؛ أن لا تستفزهم البطولات اليومية للثائرين ضد نظام البعث المهالك، وهم يصدعون بشعارهم العقدي؛ على الجنة رايعين... شهداء بالملايين؛ أم أن أبواب الجنة لا تفتح إلا لمن حمل سلاح المقاومة؛ وأن أعظم الجهاد هو ما كان سلاحه بتمويل من دول الممانعة!

هي تناقضات تكشفها الأحداث اليومية لهذا الثورات التي صار صوت الناس فيها أقوى من أصوات الحكام وأبواقهم، وصادر عطر الدماء المذبة فيها ينافس عطر الشهداء الذين سقطوا وهم يوجعون العدو المغتصب، من أجل أن يحركوا الأمة. اليوم تحركت الأمة، فلماذا لا تتجاوب معها المقاومة؟

وفي هذا المقام، لا بد من وقفة سياسية حول مفهوم المقاومة، فإن كانت كما يريد المنظرون والأكاديميون ورقة ضغط على طاولة المفاوضات، ومقدمة للحراك الدبلوماسي لاستجداء دويلة على حدود 67، فلا حاجة للأمة بها، لأن الأمة ترفض المفاوضات وكل طريق يؤدي إليها، حتى ولو كان يدغخ مشاعرها، ويضطرب آذانها، أما إن كانت من الجهاد الذي يهدف إلى تحريك الأمة، وإرجاع القضية لحضن الأمة فنعم! هي.

وإذا لم يقف إعلام المقاومة وقفة حق مع الثائرين في سوريا، فعليه أن يتوقف -على أقل تقدير- عن ترديد منطق؛ المن؛، بأنه يحمل السلاح، ويجب أن يصمت أولئك المختبئين في أكفان الشهداء، والذي يدهنون وجوههم بدماء الشهداء ليحتكروا حق الحديث

حول قضية فلسطين، وليمنعوا حق التحديث حول شؤون الأمة عن كل مسلم مخلص.

1/5/2011

الدكتور ماهر الجعبري - عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين

[المصدر: المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين](#)

□